| ISSN: 1112-9212 / EISSN 2602-5043 | مجلة تطوير العلوم الاجتماعية (182،174) 2021 (01) 14 |
| --- | --- |
| تاريخ النشر: 2021/06/07 | تاريخ الاستلام: 2020/12/02 تاريخ القبول: 2021/06/04 |

# ظاهرة المخدرات وأثرها على الشعوب من خلال شواهد تاريخية

# (حروب الأفيون في الصين خلال القرن 19م نموذجا)

**The phenomenon of drugs and their impact on people through historical evidence**

**الشافعي درويش [1] ***

[1] كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة زيان عاشور بالجلفة (الجزائر).

**ملخص:** إن ظاهرة تعاطي المخدرات قديمة ،فهي ليست وليدة العصور المتأخرة ،أو الفترة المعاصرة ،ذلك أن الدراسات التاريخية تشير إلى أن الإنسان قد عرف العديد من أنواع المخدرات ،لكنها لم تستخدم بالطرق الحالية ،أي كما هو الحال في عصرنا اليوم ،فلقد عرفت الحضارات القديمة سواء في بلاد الرافدين كالسومريين ،أو الآشوريين ،أو بلاد فارس ،أو الحضارة اليونانية ،أو الفرعونية ،أو الرومانية ،أو في بلاد الصين والهند ،أو حتى في بلاد أمريكا اللاتينية ،كل هذه الشعوب عرفت واستخدمت أنواعا من المخدرات ،كالأفيون والخشخاش والحشيش إلى آخره .لكن التطورات في استخدام المخدرات سواء في الناحية الطبية أو غير المشروعة تطورت كثيرا خلال الفترة ما بعد القرن 19م.

**الكلمات المفتاحية:** المخدرات ؛حرب الأفيون ؛ شركة الهند الشرقية؛ القرن 19م؛ الكوكايين.

**Abstract:**

The phenomenon of Drugs abuse is old ,is not the product of modern times .its has been known to humans since ancient Civilzations such as Sumerians, Assyrians ,Greeks ,Romans ,China ,India ,and South America.

All these peoples have known and used Drugs sich as Kalafion ,poppy ,hashish ,etc .However ,developments in the use of drugs ,whether in the medical field or in the illegal areas ,developed greatly during the post 19 th centry.

**Keywords:** Drugs; Opium War; India Company;19 th cenyry; Cocaine.

*Corresponding author, e-mail: chafaiderouiche@yahoo.fr

**مقدمة:**

تعتبر المخدرات من الظواهر الاجتماعية البارزة في عصرنا الحالي ،والتي أصبحت من المعضلات التي مازالت الدول والحكومات والمجتمعات لم تجد لها حلا بعد .ذلك أن هذه الظاهرة أو المرض (الفيروس) إن استطعنا تسميته بهذا الاسم استفحل في كل الدول ،وبين مختلف الشعوب ،وفئاتها المتنوعة بغض النظر عن طبيعة تلك الشعوب ،أو طبيعة الدول من حيث تصنيفها الاقتصادي ،أو الحضاري ،أو حتى من حيث غنى تلك الفئات أو فقرها ،أو حتى طبيعة مستواها الثقافي أو التعليمي ،أو حتى طبيعة اعتقادها الديني ،لأن هذه الظاهرة أصبحت عالمية ولم تراعي في انتشارها إلى أية معايير معينة أو ضوابط واضحة يمكن التحكم فيها .

أن ظاهرة المخدرات ليست بالجديدة ،بل هي ظاهرة قديمة وجدت في المجتمعات القديمة ،لكن الاختلاف يعود إلى أن هذه الظاهرة أخذت منحى كبير من حيث الانتشار وطبيعة تأثيرها على المجتمعات ؛بسبب تطور المخدرات في حد ذاتها من جهة ،وسرعة انتشارها من جهة أخرى .

لقد حاولت الشعوب والدول منذ القدم مواجهة هذه الظاهرة والحد من انتشارها ؛بسبب العلم بسلبياتها ومخاطرها ،باللجوء إلى التحريم العقيدي والتجريم القانوني ،والتوعية بمخاطرها ،ولكن بدون جدوى ،ذلك أن هذه الظاهرة لم تنتشر في دول معينة أو أماكن واضحة ،حتى يمكن محاصرتها ،أو فئات اجتماعية بحد ذاتها ،بل أنها شملت كل دول العالم ومختلف شرائح المجتمعات ،دون مراعاة لأي وازع ديني أو أخلاقي .

وبالعودة إلى أصل هذه الظاهرة وتاريخ ظهورها ،فإن هناك مناطق كثيرة من العالم انطلقت منها هذه الظاهرة العالمية ،كالصين ووسط أسيا ،وأمريكا الجنوبية ،وحتى مناطق من أفريقيا ،لكنها فيما بعد انتشرت إلى كل دول العالم ،ولم تعد حكرا على دولة معينة .

**إشكالية المقال :**

**والإشكال الذي يطرح في هذا المقال حول تاريخ المخدرات ،وما المقصود بهذه الظاهرة ؟وكيف ظهرت ؟والى ما تعود ؟وماهي التطورات التي عرفتها عبر العصور ؟ وماهي أهم الشواهد التاريخية التي عرفها العالم من خلالها ؟ ,**

وسأحاول من خلال هذه المداخلة أن أتطرق إلى لمحة تاريخية حول المخدرات ،متتبعا مراحل انتشارها وتحولها إلى ظاهرة عالمية عجزت الدول والحكومات على الوقوف في وجهها ،بعد أن أصبحت مرض العصر أو اصعب مشاكله ،نظرا لمعاناة المجتمعات من تأثيراتها السلبية في مختلف بقاع الأرض ،وذلك من خلال الوقوف علة نماذج من شواهد تاريخية لتلك الظاهرة في مناطق مختلفة من العالم .

**2- الجذور التاريخية للمخدرات :**

إن ظاهرة المخدرات قديمة وليست وليدة المرحلة الراهنة ،التي نعيشها ،وليست وليدة الحضارة التكنولوجية أو التطورات التي واكبتها ،بل هي قديمة قد الإنسان ،ارتبطت بظهوره .

فالإنسان قد عرف نباتات القنب ،والخشخاش ،والكوكا ،والقات وصبار البيوتل ،منذ عصور غائرة في القدم ،واستخدمها في بادئ الأمر استخداما نافعا ،فاستخدم نبات القنب كمصدر للألياف قبل أن يتعلم الكتابة بوقت طويل ،وعرف الخواص الغذائية لبذور الخشخاش ؛فجعلها ضمن غذائه ،وفي مرحلة لاحقة استخدم هذه النباتات في الطقوس الدينية ،ثم في السحر والتنجيم ،ثم انتقل الإنسان إلى مرحلة ثالثة ؛عندما استخدم هذه النباتات في كدواء ومنوم ومخفف للآلام ،كما استخدم بعضها في تنظيف العيون ،وفي إحداث الموت السريع الذي لا يصحبه الألم [1].

فقد عرف الإنسان المخدرات[2] منذ فجر التاريخ ،وقد سجلت كتابات المؤرخين ؛أن الإنسان توصل إلى اكتشاف نبات الخشخاش (الأفيون) والقنب (الحشيش) منذ العصر الحجري ،وقد استخدمه الآشوريون في بلاد الرافدين قبل 4000 سنة قبل الميلاد، وكذا الفرس ،وسكان أسيل للحصول على حالات انشراح النفس .فقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن ظاهرة المخدرات والمسكرات ؛عرفت في الحضارات القديمة :كالحضارة الفرعونية ،والحضارة الرومانية ،واليونانية، والصينية .يضاف إلى ذلك اكتشافهم لمادة الكحول وشربه [3].

فنبات القنب نبات بري يوجد شمال الهملايا ،ونبات الخشخاش يوجد في منطقة شرق حوض البحر المتوسط ،ونبتة الكوكا توجد في المنطقة الشرقية لجبال الأنديز في أمريكا اللاتينية ،ونبتة القاب توجد في هضبة أثيوبيا ،وصبار البيوتل يوجد في هضاب المكسيك وفي جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية [4].

كما عرف سكان أمريكا اللاتينية المخدرات منذ 3500 ق.م ،وعرف الهند القنب منذ 3000 ق.م ،ومنذ سنة 2700 ق.م كان نبات القنب الهندي معروفا لدى إمبراطور الصين (شن ننج) ،وكان يعرف لعلاج الإمساك والذهول ،وقد أطلق السومريون في بلاد الرافدين على الأفيون اسم نبات السعادة ،كما استخدمه المصريون القدماء كدواء لعلاج الأطفال كثيري البكاء ،في حين زين الإغريق والرومان آلهتهم بثمار الخشخاش [5].

وبذلك يمكن القول أن ظاهرة المخدرات قديمة قد الإنسان ،فمنذ أن ظهر الإنسان عرف هذه الظاهرة ،وتطورت استعمالاتها بتطور احتياجات الإنسان ،وميادين حياته ,

**3- انتشار المخدرات في الفترة الحديثة :**

تشير الدراسات إلى أن نبات الخشخاش والأفيون كانا معروفين في الهند منذ القرن السادس الميلادي (06) ،وأنه ورد إلى الهند والصين من بلاد سومر (شمال سوريا والعراق) ،ويبدو أن الأفيون استقر في الهند قبل الصين بزمن طويل ،وانتشر تعاطيه بين الهنود سواء عن طريق الأكل، أو التدخين، أو الشرب .وظلت الهند تستخدمه في تبادلاتها التجارية المحدودة مع الصين ،إلى أن قررت شركة الهند الشرقية البريطانية أن تضعه ضمن احتكاراتها في بداية القرن 19م [6].أما ما يسمي بالمنومات والمنشطات فقد اكتشفت حديثا من طرف الأوربيين خلال القرنين 18م و19م، حيث صنع أول عقار منشط في ألمانيا في سنة 1887م [7].

ففي القرنين 19م و20م أفضى تطور العلوم وخاصة علم الكيمياء ،وعلم الأدوية ،وتقدم التكنولوجيا الصناعية التحويلية إلى اكتشاف وتسويق المئات من العقاقير الجديدة المؤثرة في العقل ، التي أسهمت في علاج الملايين من المرضى من مجموعات الأمفيتامينات والباربيتيورات وعقاقير الهلوسة ،مثل الكوكايين الاصطناعي (الأيس)، وعقار النشوة (الأكستازي) ، والهيروين الإصطناعي (الفنتانيل)، بالإضافة إلى بعض العقاقير ذات الأصل النباتي ؛مثل الهيروين والكوكايين ،ثم تحولت هذه العقاقير من الاستخدام الطبي إلى الاستخدام غير المشروع [8].

ومثال عن ذلك الانتشار لمادة الحشيش مع بداية القرن 20م ،فقد عرف طريقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية ،وذلك عن طريق هجرة المكسيكيين إلى شمالا إلى الولايات المتحدة للعمل في الزراعة ، والذين كانوا يستخدمونه في التدخين ،فانتشر في الأوساط الأمريكية بين فئات كثيرة خاصة

السود وبعض البيض ،ومن هنا بدأ الاهتمام بهذه المادة لدراستها ومعالجة هذه المشكلة في سنة 1938م من مدينة نيويورك [9].

ومن جهة أخرى فقد عرف الإسبان عند اكتشافهم أمريكا مادة الكوكا من الأمريكيين المحليين ،إلا أن هذا النبات لم يشتهر إلا في سنة 1886م ؛عندما بدأت الشركات الأمريكية بتصنيع مشروب الكوكا–كولا ،الذي احتوى على عصارة نبات الكوكا ،وعصارة الجوز الإفريقي المدعو كولا ،ونتيجة للأضرار التي تسبب فيها المشروب ،أقيمت دعوة قضائية ضد الشركة التي توقفت عن استعمال الكوكا في المشروب ،وبقيت الكولا فقط [10].

**4- تاريخ المخدرات في الجزائر :**

لم تكن ظاهرة المخدرات عموما في الجزائر مجهولة لدى الجزائريين ،فهي لها جذورها التاريخية التي تمتد في عمق الحضارات الإنسانية بالمنطقة ،لكنها لم تشكل ظاهرة مرضية ،إلا بانتشارها المهول .لأنه لم يخلو اليوم أي مجتمع من هذه الآفة ومن عصابات الترويج لتلك السموم .وقد شهدت الجزائر في السنوات الأخيرة ما بعد الاستقلال ؛زيادة كبيرة في كميات المواد المضبوطة من جهة ،وزيادة عدد المدمنين من جهة أخرى ،أما معدلات الجريمة التي تزداد وتيرتها يوما بعد يوم، فهي لا تخرج عن كونها نتائج حتمية لتعاطي المخدرات [11].

وتجمع التقارير الأمنية المتوفرة حديثا إلى تنامي ظاهرة تناول المخدرات في الجزائر ،وتنامي عدد المستهلكين لها ،كما تشير التقارير الأمنية لحرس الحدود الجزائريين إلى تنوع تلك المخدرات من القنب الهندي ،والحشيش ،بالإضافة إلى تعدد المتورطين في بيعها من رجال ونساء .وحسب ذات التقارير فقد تطورت الظاهرة خلال السنوات ما بين 2000 و2012 إلى دخول أنواع جديدة من المخدرات كالهيروين ،والكوكايين ،والأقراص المهلوسة [12].

**5- شواهد تاريخية عالمية ارتبطت بالمخدرات :**

**5.1- حروب الأفيون في الصين [13] 1839-1842 :**

كانت مدينة كانتون من أهم المراكز التجارية في الصين ،وتتالى عليها الأوربيون بدءا من البرتغاليين في القرن 17م ،وبقي الوضع على حاله حتى تحصل البريطانيون على حق إنشاء مصنع

فيها في سنة 1684م ،ومع نهاية القرن 17م تقاسمت الدول الأوربية الاستعمارية الكبرى النفوذ في كانتون [14] .

وبعد ذلك تحصل البرتغاليون على حق الإقامة في مدينة مكاو الصينية ،فشيد البرتغاليون مصنعا للأفيون في مكاو ،عمل فيه الرجال والنساء والأطفال الصينيون ،وكانت هذه الصناعة تدر عليهم أموالا كثيرة [15].

وعندما تمكنت شركة الهند الشرقية البريطانية من السيطرة على شؤون الهند ،أخذت توطد علاقاتها التجارية مع الصين ،فبدأت تستورد الشاي والخزف والحرير ،وتنقل إليها ما تحتاجه من المنتجات الأوربية ،وأهمها العقاقير الطبية وبعض المأكولات .غير أن ميزان التجارة لم يكن في صالح شركة الهند الشرقية ؛حيث كانت تدفع مبالغ هائلة إلى الصين ثمنا لتلك البضائع .لهذا اهتدت شركة الهند الشرقية إلى طريقة لموازنة ميزانها التجاري مع الصين ،عن طريق تصدير الأفيون إلى الصين ،مقابل ما تستورده منها من بضائع ،وأصبحت الصين بملايينها العديدة سوقا رائجة لهذا المخدر ؛حيث ازداد استهلاك الصينيين لتلك المادة المخدرة ،إلى أن أصبحت جميع صادرات الصين ،غير كافية لسداد ثمن الأفيون ،الذي تأتي به السفن الإنجليزية ،لذلك اضطرت الحكومة الصينية أن تدفع ملايين الأوقيات من الفضة مع ثلاثينات القرن 19م ،ثمنا لذلك السم الذي كان يفتك بشعبها ،ويدمر اقتصادها ،ويستنزف ثرواتها ومواردها [16] .

وقد حاولت الحكومة الصينية جاهدة القضاء على تلك التجارة ،إلا أن القرارات التي أصدرتها ظلت حبرا على ورق ،وأول تلك القرارات كان في سنة 1829م ،إلا أن تلك التجارة ظلت رائجة ؛بسبب الأرباح الطائلة ،التي كان التجار الإنجليز من تجارة المخدرات .لذلك منعت الحكومة الصينية الصينيين من التعامل مع التجار البريطانيين ،وحرمت عليهم بيع المواد الغذائية لهم ،فشعر البريطانيون بالضغط الواقع عليهم في كانتون ،فقرروا تأديب حكومة الصين [17].

وقعت هذه الحرب بين الصين ،التي دافعت عن أسواقها ضد بريطانيا ،التي حاولت إغراق الصين بالأفيون عن طريق شركة الهند الشرقية ،وقد حاولت الحكومة الصينية وقف تجارة الأفيون التي كانت تتم في ميناء كانتون ،وقامت بإعدام كميات كبيرة من الأفيون [14].فقد أصدرت الحكومة الصينية الأوامر بتحريم تجارة المخدرات تحريما تاما في سنة 1838م ،والقضاء عليها نهائيا لاعتبارات أخلاقية ،وعينت مسؤولين حازمين لتطبيق تلك الأوامر ،لإرغام التجار الأجانب على

تطبيقها ،وأصدرت أوامر للتجار الأجانب بتسليم ما بحوزتهم من الأفيون ،وتعهدهم بعدم الاشتراك في هذه التجارة ،والا تعرضوا لعقوبة الإعدام ،وتمت مصادرة كميات كبيرة من الأفيون قدرت ب 20000 صندوق ،وتم إعدامها في حفل كبير حضره التجار الأجانب ،الذين اعتبروا هذا العمل استفزاز لهم .وبعد ذلك أعلنت الحكومة الصينية إبطال تجارة الأفيون ،فاستجاب جميع التجار الأجانب لهذه الأوامر ،باستثناء التجار الإنجليز ،الذي رفضوا الاستجابة لقرار إبطال تجارة المخدرات ،وغادروا ميناء كانتون وتوجهوا إلى ميناء هونغ كونغ[18].

لذلك تحدت بريطانيا القوانين الصينية ،مما أدى إلى اندلاع الحرب .وقد تغلبت بريطانيا في هذه الحرب وفرضت معاهدة نانكينغ على الصين في سنة 1842م ،التي فتحت الأسواق الصينية أمام الأفيون الذي يورده التجار البريطانيون ،وبذلك أغرقت البلاد بالأفيون[19].

وقد نصت معاهدة 1842م على النقاط التالية :

1- تنازل الحكومة الصينية على جزيرة هونغ كونغ للحكومة البريطانية ،ضمانا لمزيد من الأمن للتجار البريطانيين وتجارتهم .

2- فتح الموانئ الصينية أمام التجارة الأوربية ،مثل :كانتون ،وفوشو ،وشنغهاي ...

3- تقليص الضرائب التي تفرضها الحكومة الصينية على المنتجات الأجنبية .

4- فرض غرامة مالية على الصين قدرت ب 21 مليون دولار نفقات الحرب وتعويض ما أحرقته من أفيون .

5- إلغاء نظام الكوهونج (رابطة التجار الصينيين) ،الذي كان يفرض قيود على التجارة الأجنبية، وبذلك فتح المجال أمام حرية التجار البريطانيين [20].

وبذلك يمكن القول أن حرب الأفيون الأولى قد فرضت على الصين تقديم تنازلات كبيرة للدول الأجنبية الغربية ،كما أنها كانت في جوهرها مجابهة بين نظامين وحضارتين مختلفتين ،انتهت بتدعيم مصالح الغرب في الصين ،وحفزته على إحكام قبضته على الصين ومواردها .

### 4.2- الحرب الأهلية الأمريكية[21] 1861-1864 :

تمكن في سنة 1803م العالم الألماني الصيدلاني سيرتورنر من عزل العنصر الفعال في الأفيون وهو المورفين ،وهو العنصر الفعال المسؤول عن معظم الآثار الفيزيولوجية والسيكولوجية

المترتبة عن تناول الأفيون بأي صورة من الصور .وقد انتشر استخدام المورفين بعد ذلك لأغراض طبية في العالم الغربي ،وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية ،وساعدت على ذلك بصورة خاصة ظروف الحرب الأهلية في الولايات المتحدة ،التي استمرت بين سنتي 1861م و1865م .وذلك لمواجهة احتياجات العمليات الجراحية أثناء الحرب[22].

**الخاتمة : مما سبق يمكن القول**

1- إن ظاهرة تعاطي المخدرات ظاهرة قديمة عرفها الإنسان منذ العصور الأولى لظهوره.

2- عرفت الحضارات الإنسانية القديمة أنواعا مختلفة من المخدرات مثل: الأفيون والحشيش والخشخاش، والقات، واستخدمها الإنسان في الغذاء والدواء.

3- ظهرت الأنواع الطبيعية للمخدرات النباتية في مواطن مختلفة من الكرة الأرضية كالصين والهند، واسيا عموما، وبلاد الرافدين ومصر وأمريكا اللاتينية.

4- بحلول القرن 19م بدأت عدة مناطق في تصنيع وتطوير أنواع من مشتقات المخدرات النباتية، من اجل استخدامها في المجال الطبي.

5- وبحلول القرن 20م تغيرت استعمالات المخدرات وبدأ التوجه إلى الاستعمال غير المشروع، وذلك تواكب مع التطور التكنولوجي والصناعي الذي عرفه العالم ،خاصة في أوربا وأمريكا الشمالية ،مما أدى إلى ظهور آفات المخدرات ومشاكل الإدمان.

6- ورغم التطور الحاصل الآن إلا أن الحكومات والمنظمات العالمية مازالت عاجزة على مواجهة هذه الآفات التي تهدد الأجيال اليوم.

**الهوامش:**

1. محمد فتحي عيد ،(2009). «تعاطي المخدرات والإدمان عليها الماهية الخلفية التطور».ورقة عمل مقدمة إلى الندوة العلمية المخدرات والأمن الاجتماعي ،2009 ،مصر :مركز الدراسات والبحوث قسم الندوات واللقاءات العلمية ،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
2. للاطلاع على مفهوم المخدرات وتعريفاتها المختلفة ينظر إلى:سارة خلفة وفلة عيساوي :ظاهرة تعاطي المخدرات :المفهوم ،الأضرار ،العلاج ،في مجلة دراسات ،جامعة عمار ثليجي الأغواط ،العدد 63 ،الجزائر فيفري 2018.
3. عتيقة سعيدي :أبعاد الاغتراب النفسي وعلاقتها بتعاطي المخدرات لدى المراهق ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في علم النفس ،تخصص علم النفس العيادي ،إشراف :أ/د قبقوب عيسى ،جامعة محمد خيضر بسكرة.
4. مصطفى سويف ،(1978).لمخدرات والمجتمع نظرة تكاملية ،عالم المعرفة .الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .
5. محمد الحاج علي،(2016).المخدرات –السموم- .مصر:كلية العلوم الإسلامية في الطيبة.
6. للاطلاع أكثر على تفاصيل حرب الأفيون ينظر :م . م .ميسون عباس ،(2001). «أسرة المانشو الصينية أسباب انتشارها ». مجلة كلية التربية الأساسية ،الجامعة المستنصرية العراق ،العدد 71 .
7. محمد علي القوزي وحسان حلاق ،(2001).تاريخ الشرق الأقصى الحديث .بيروت :دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
8. للاطلاع على موضوع الحرب الأهلية الأمريكية وتفاصيلها ،ينظر ،عبد الفتاح حسن أبو علية ،(1987).تاريخ الأمريكيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية .السعودية :،دار المريخ للنشر.

**كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:**

الشافعي درويش، (2021)، **ظاهرة المخدرات وأثرها على الشعوب من خلال شواهد تاريخية (حروب الأفيون في الصين خلال القرن 19م نموذجا)**، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية ،المجلد 14 (العدد 01)، الجزائر : جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص174 -182.